

التفسير المحرر 10-10110-1.0

واعلموا -أيها المؤمنون- أن أي مال تأخذونه من الكفار قهراً، إذا انتصرتم عليهم، فله خُمُسُه، يُصرفُ فيما أمر به، ولمحمد صلى الله عليه وسلم؛ يتصرف فيما جعله الله له من الخُمُس بما شاء في مصالحه ومصالح المسلمين، ولقِابة النبي من بني هاشم وبني المطلب، وليتأمل المسلمون، وللمحتاجين منهم، وللمسافرين المحتاج للمال في سفره، فامتثلوا ما شرعناه لكم في قسمة الغنائم، إن كنتم آمنتم بالله تعالى، وبما أنزلنا على محمد من آيات كتابنا يوم فرق الله بين الحق والباطل، يوم النقي جمع المسلمين والكفار بدير، والله لا يعجزه شيء، ومن ذلك نصر المؤمنين.

فرق الله بين الحق والباطل حين كنتم بضفة وادي بدر، التي هي أقرب إلى المدينة، ومُشركو قريش نازلون بضفة وادي بدر، التي هي أبعد من المدينة، وأصحاب الإبل الذين معهم تجارة المشركين؛ في موضع أسفل منكم ممّا يلي ساحل البحر، ولو اتفقتم -أيها المؤمنون- مع المشركين على القتال في مكان وزمان محددين؛ لما اجتمعتم، ولكن جمعكم الله بدير على غير ميعاد؛ لينصر الله المؤمنين، ويهلك الكافرين، وكان ذلك قضاء لا بد من وقوعه؛ ليستمر في الكفر من استمر فيه بعد قيام الحجة عليه، ويؤمن من آمن بعد ظهور الحجة له، وإن الله لسميع لجميع الأصوات، ومن ذلك دعاؤكم، عليكم بكل شيء، ومن ذلك علمه باستحقاقكم النصر على أعدائكم.

اذكر -يا محمد- حين أراك الله في نومك جيش الكافرين في بدر وهم قليل، فأخبرت المسلمين بذلك، فقويت قلوبهم على قتالهم، ولو أراك الله عدد الكافرين في منامك كثيراً، وأخبرت

المُسْلِمِينَ بِذَلِكَ؛ لَخَافُوا، وَاخْتَلَفُوا فِي قِتَالِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّنَازُعِ، فَتَجَرَّؤُوا عَلَى الْقِتَالِ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ؛ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْوَسْوَاسِ وَغَيْرِهَا.

وَاذْكُرُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- حِينَ أَرَاكُمْ اللَّهَ فِي الْيَقِظَةِ جَيْشَ الْكَافِرِينَ قَلِيلًا عِنْدَ الْلِقَاءِ؛ لِنَتَشَجَّعُوا عَلَى قِتَالِهِمْ، وَقَلَّلْكُمْ فِي أَعْيُنِ الْكَافِرِينَ؛ لِيَسْتَهِينُوا بِقِتَالِكُمْ، فَخَيَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ فَرِيقٍ قَلَّةَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ؛ لِيَقَعَ مَا قَدَّرَهُ مِنَ الْقِتَالِ، وَانْتِصَارَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِهْلَاكَ الْكَافِرِينَ، وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَصِيرُ أُمُورُ الْخَلَائِقِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِذَا لَقِيتُمْ جَمَاعَةً مُحَارِبِينَ لَكُمْ، فَانْتَبِهُوا لِقِتَالِهِمْ، وَلَا تَتَرَّعْزَعُوا وَلَا تَفِرُّوا، وَاذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ذِكْرًا كَثِيرًا؛ لَعَلَّكُمْ تَتَالَوْنَ النَّصْرَ.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- وَلَا تَخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَتَجْبُنُوا عَنْ قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَتَخَوَّرَ قُؤَاكُم، فَلَا تَنْتَصِرُوا، وَاصْبِرُوا عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّكُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، بِالنَّصْرِ وَالتَّايِيدِ.

وَلَا تَكُونُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِثْلَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ رَدًّا لِلْحَقِّ، غَيْرَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِيَفْتَخِرُوا عَلَى النَّاسِ بِجَمْعِهِمْ، وَلِيَمْنَعُوهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.

وَاذْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- حِينَ حَسَّنَ إِبْلِيسُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ أَعْمَالَهُم الْقَبِيحَةَ، وَقَالَ: لَا يَغْلِبُكُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ، وَإِنِّي مُجِيرٌ وَحَافِظٌ لَكُمْ، فَلَمَّا نَظَرَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى الْآخِرِ يَوْمَ بَدْرٍ؛ رَجَعَ إِبْلِيسُ الْفَهْقَرَى هَارِبًا، وَقَالَ: إِنِّي أَتَبَرَأُ مِنْكُمْ، إِنِّي أَرَى الْمَلَائِكَةَ الَّتِي

نَزَلْتُ لِتَأْيِيدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُمْ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعَاقِبَنِي اللَّهُ، فَأَهْلِكَ مَعَكُمْ، وَاللَّهُ شَدِيدُ التَّنْكِيلِ بِمَنْ خَالَفَهُ.

اذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ قَالَ الْمُنَافِقُونَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ: غَرَّ الْإِسْلَامُ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَخَدَعَهُمْ، فَتَكَفَّوْا قِتَالَ قُرَيْشٍ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَقْوَى. وَمَنْ يُفَوِّضْ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَعْتَمِدْ عَلَيْهِ؛ فَاللَّهُ يُعِزُّهُ وَيَنْصُرُهُ؛ فَهُوَ عَزِيزٌ، لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ، فَلَا يَدْخُلُهُ خَلَلٌ، يَنْصُرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَسْتَحِقُّ

وَلَوْ عَايَنْتُ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ تَنْزِعُ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ، وَهُمْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَسْتَاهَهُمْ؛ لَرَأَيْتُ أَمْرًا فَظِيْعًا! وَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَفَّارِ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي تَحْرِقُكُمْ.

وَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَفَّارِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهُمْ: وَقَعَ ذَلِكَ الْجَزَاءُ لِمَا عَمِلْتُمُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَاللَّهُ لَا يَظْلُمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ؛ فَارْسَلْ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزِلْ كُتُبَهُ، وَأَقَامِ الْحُجَّةَ.

عَادَةُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فِي كُفْرِهِمْ، كَعَادَةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ قَبْلَهُمْ؛ جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ، وَمَعْجَزَاتِ رُسُلِهِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى؛ لَكُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ.

وَقَعَ الْعَذَابُ الَّذِي أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَمُشْرِكِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَسْلُبُ نِعْمَةً أَنْعَمَ بِهَا عَلَى قَوْمٍ، وَيُجِلُّ مَحَلَّهَا الْعُقُوبَاتِ إِلَّا لِتَغْيِيرِهِمْ مَا بَأْنَفْسِهِمْ؛ بِالْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ، أَوِ السَّيِّئَاتِ، وَقَدْ وَقَعَ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِكَلَامِ خَلْقِهِ، عَلِيمٌ بِهِمْ، فَهُوَ يُجَازِيهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ.

عادةً مشركي قُرَيْشٍ في كُفْرِهِمْ، كعادةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَالْأَمَمِ
الْمُكَذِّبَةِ قَبْلَهُمْ، كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، فَسَلُّوا النِّعَمَ، وَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ
لذُنُوبِهِمْ، وَأَغْرَقَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ، وَكُلُّ الَّذِينَ أَهْلَكُوا،
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ
إِنَّ أَكْثَرَ الدَّوَابِّ الَّتِي تَدْبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَرًّا عِنْدَ اللَّهِ،
هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ
اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

وَهُمُ الَّذِينَ أَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ -يَا مُحَمَّدٌ-؛ بِأَنْ يَصَالِحُوا، ثُمَّ
يَنْفُضُونَ ذَلِكَ كُلَّمَا عَاهَدُوا! فَلَيْسَتْ لَهُمْ تَقْوَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
تَحْمِلُهُمْ عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِالْعُهُودِ، وَلَا يَخَافُونَ عِنْدَ نَقْضِهِمْ لَهَا، أَنْ
يَحُلَّ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ.

فَإِنْ لَقِيتَ -يَا مُحَمَّدٌ- أُولَئِكَ الْكُفَّارَ، الَّذِينَ يَنْفُضُونَ الْعَهْدَ مَرَّةً
بَعْدَ مَرَّةٍ، وَظَفَرْتَ بِهِمْ فِي حَالِ مُحَارَبَتِهِمْ، فَعَاقِبِهِمْ عَقُوبَةً، تَكُونُ
عِبْرَةً وَتَشْرِيدًا لِمَنْ خَلْفَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ؛ فَيَحْذَرُوا مِنْ نَقْضِ مَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَهْدٍ.

وَإِنْ خِفْتَ -يَا مُحَمَّدٌ- مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ، أَنْ يَغْدِرُوا
فَيَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ، بِمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ قَرَائِنٍ، فَاطْرَحْ عَهْدَهُمْ عَلَيْنَا؛
لَتَسْتَوِيَ أَنْتَ وَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَا عَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَبَرَّأَ بِهَذَا
مِنَ الْغَدْرِ بِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الَّذِينَ يَغْدِرُونَ، وَيَخُونُونَ فِي
عُهُودِهِمْ وَغَيْرِهَا.

وَلَا يَظُنُّ الْكُفَّارُ أَنَّهُمْ أَفْلَتُوا مِنَ الظَّفَرِ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ فَاتَوْنَا فَلَا
نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ! إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُمُ الْإِفْلَاتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَلَا
فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْهَرَبِ مِنْهُ.

وَأَعِدُّوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي هَلَائِكُمْ، كُلِّ مَا أَمَكَّنَكُمْ أَنْ تُعَدُّوه لِقِتَالِهِمْ، مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ، وَالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالْخَيْلِ الْمَرْبُوطَةِ، الْمُعَدَّةِ لِلْقِتَالِ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، تُخَيِّفُونَ بِاسْتِعْدَادِكُمْ هَذَا مَنْ تَعْلَمُونَهُمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَعْدَائِكُمْ، وَتُخَيِّفُونَ أَعْدَاءَ آخَرِينَ، لَا تَعْلَمُونَهُمْ، لَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تَقْدِمُوهُ مِنْ نَفَقَاتٍ قَلِيلَةً أَوْ كَثِيرَةً لِلْجِهَادِ، يُعْطِيكُمْ اللَّهُ ثَوَابَهُ وَافِيًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِنْ مَالَ الْكَفَّارِ الْمُحَارِبُونَ إِلَى الْمُصَالَحَةِ فَأَجِبْهُمْ - يَا مُحَمَّدٌ - إِلَيْهَا، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ، وَلَا تَخَفْ مِمَّا قَدْ يُدَبِّرُونَهُ مِنْ غَدَرٍ فِي مُدَّةِ السَّلَامِ، إِنَّ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِكَ، وَأَقْوَالِ أَعْدَائِكَ، الْعَلِيمُ بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَهُوَ كَافِيكَ.

وَإِنْ يُرِيدُ الْكَفَّارُ خِدَاعَكَ بِطَلَبِ الصُّلْحِ - يَا مُحَمَّدٌ -؛ لِيَتِمَّ كُنُوزُهُ مِنْ تَدْبِيرِ الْمَكَائِدِ لَكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ، وَنَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ، هُوَ الَّذِي قَوَّاهُ بِنَصْرِهِ، وَبِأَصْحَابِكَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ أَصْحَابِكَ عَلَى الْحَقِّ، فَأَصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا مُؤْتَلِفِينَ، وَلَوْ بَدَّلْتَ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ؛ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَغَيْرِهَا؛ لَتَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ - لَمَّا اسْتَطَعْتَ؛ لَشِدَّةِ الْعَدَاوَاتِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ جَمَعَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْهُدَى، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَرُدُّ قَضَاءَهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ وَشَرِّعِهِ وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ كَافِيكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَكَافِي مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يَهْتُمُّكُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ نَصْرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، حُبِّ الْمُؤْمِنِينَ بِشِدَّةٍ عَلَى قِتَالِ الْأَعْدَاءِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ رَجُلًا، صَابِرُونَ عِنْدَ لِقَاءِ الْكَفَارِ؛ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ مِنْهُمْ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الْكَفَارِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا، وَلَا يَرْجُونَ ثَوَابَهُ فِي قِتَالِهِمْ، فَلَا عِلْمَ عَنْدهُمْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ؛ لِذَا لَا يَتَّبِعُونَ فِي الْقِتَالِ.

الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ مُصَابِرَةِ الْعَشْرِينَ الْمِئَتَيْنِ، وَمُصَابِرَةِ الْمِئَةِ الْأَلْفِ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِيكُمْ مَنْ يَضْعُفُ عَنِ قِتَالِ عَشْرَةٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ، يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ صَابِرُونَ، يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ مِنْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ الصَّابِرِينَ.

مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَأْسِرَ أَحَدًا مِنَ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ، فَيَحْبِسَهُمْ لِأَخْذِ فِدَائِهِمْ مِنْهُمْ، فِي مُقَابِلِ إِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يُبَالِغَ فِي قِتْلِهِمْ وَيَغْلِبَهُمْ، وَيَتِمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ، تُرِيدُونَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَتَاعَ الدُّنْيَا بِأَسْرِ الْكُفَّارِ يَوْمَ بَدْرٍ؛ لِأَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ يُرِيدُ لَكُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِإِثْخَانِهِمْ؛ إِعْزَازًا لِدِينِهِ، وَنُصْرَةً لِعِبَادِهِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يُغْلَبُ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ شُؤْنِ خَلْقِهِ.

لَوْلَا قِضَاءُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَكُمْ -يَا أَهْلَ بَدْرٍ- فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِأَنَّ اللَّهَ مُحِلٌّ لَكُمْ الْغَنَائِمَ، وَأَخَذَ الْفِدَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَبِأَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَلَا يُعَذِّبُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَنَالَكُمْ بِسَبَبِ أَخْذِكُمُ الْفِدَاءِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالًا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَكُمْ، لَا خُبْثَ فِيهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، فَلَا تَفْعَلُوا مَا لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ بِهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَذُنُوبِ

المؤمنين؛ لذا لم يُعاقِبْهم، رَحِيمٌ بِهِم، لذا أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ، وَأَخَذَ الْفِدَاءَ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لِمَنْ أَسْرَئِثُمْوهم في غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَأَخَذْتُمْ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ لِإِطْلَاقِهِمْ: إِنَّ يَعْلمُ اللهُ في قُلُوبِكُمْ إِسلامًا وإيمانًا صحيحًا، يُعْطِكم في الدُّنْيَا مالًا، وفي الآخِرَةِ ثَوَابًا أَفْضَلَ ممَّا أُخِذَ مِنْكُمْ، وَيَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ، وَاللهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ التَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِهِم، فلا يُعاقِبْهم بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ.

وإن يُرَدُّ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى الْغَدَرَ بك -يا مُحَمَّدُ- بِإِظْهَارِهِمْ خِلافَ مَا يُبْطِنُونَ، فِيرْجِعُوا إِلَى إِظْهَارِ الْكُفْرِ، وَقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْإِعَانَةِ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَعَصَوْهُ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ بَدْرٍ، فَأَقْدَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، حَكِيمٌ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَخَرَجُوا مِنْ أَوْطَانِهِمْ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ؛ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ، وَبِالْعُغَا فِي إِتْعَابِ أَنْفُسِهِمْ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَالْأَنْصَارِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، الَّذِينَ ضَمُّوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَأَسْكَنُوهُمْ، وَنَصَرُوهُمْ، أَوْلَئِكَ يَتَوَلَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُفَارِقُوا بِلَادَ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ؛ فَلَسْتُمْ مَكْلَفِينَ بِحِمَايَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ، وَلَا إِرْثَ بَيْنَكُمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَغَانِمِ نَصِيبٌ، حَتَّى يُهَاجِرُوا مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَإِنْ طَلَبُوا مَعُونَتَكُمْ عَلَى الْكُفَّارِ؛ لَا تَكُمُ إِخْوَانُهُمْ فِي الدِّينِ- فَاَنْصُرُوهُمْ، إِلَّا إِنْ كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَوْلَئِكَ الْكُفَّارِ عَهْدٌ عَلَى تَرْكِ الْحَرْبِ، فَلَا تَغْدِرُوا، وَاللهُ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَبَعْضُهُمْ أَعْوَانُ بَعْضٍ؛ يَرِثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَنَاصَرُونَ بَيْنَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَتَوَلَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا- أَتَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَتَتْرَكُوا مُوَالَاةَ الْكَافِرِينَ؛ تَقَعُ فِي الْأَرْضِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفَسَادٌ عَرِضٌ.

وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْكُفَّارَ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَالْأَنْصَارُ الَّذِينَ ضَمُّوا مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَنَصَرُوهُمْ- أُولَئِكَ هُمُ الْكَامِلُونَ فِي الْإِيمَانِ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَهُمْ رِزْقٌ حَسَنٌ كَثِيرٌ، هُنَا طَيِّبٌ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا -مِنْ بَعْدِ بَيَانِ أَمْرِ تَوَلَّى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَانْقِطَاعِ وَلَايَتِهِمْ مِمَّنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ حَتَّى يُهَاجِرْ-، وَهَاجَرُوا مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ- أَتَيْهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ- فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ فِي الْوِلَايَةِ؛ فَلَهُمْ حَقُّ النُّصْرَةِ وَغَيْرَهَا، وَهُمْ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَذَوُو الْقَرَابَاتِ أُولَى بِالتَّوَارُثِ بَيْنَهُمْ فِي حُكْمِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَا يَصْلُحُ لِعِبَادِهِ.

هَذِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى جَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ، أَتَيْهَا الْمُسْلِمُونَ.

فَسِيرُوا وَادْهَبُوا -أَتَيْهَا الْمُشْرِكُونَ- فِي أَرْضِ اللَّهِ أَيَتِمَّا شِئْتُمْ، أَمِينٌ مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، لَا يَنَالُكُمْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ سُوءٌ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اخْتَرْتُمْ الْإِسْتِمْرَارَ عَلَى الْكُفْرِ فِي مُدَّةِ عَهْدِكُمْ - وَأَنْتُمْ آمِنُونَ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ- غَيْرُ فَائِزِينَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَهُ بِكُمْ؛ فَانْتُمْ عَلَى أَرْضِهِ وَفِي سُلْطَانِهِ، وَتَحْتَ قُدْرَتِهِ، فَبَايَرُوا بِالتَّوْبَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُذِلُّ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وهذا إعلَامٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ مُسْلِمِهِمْ
وَكَافِرِهِمْ، يَوْمَ النَّحْرِ بِأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنْ عَهْدِ الْمُشْرِكِينَ،
وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهَا كَذَلِكَ، فَإِنْ ثَبُتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ -أَيُّهَا
الْمُشْرِكُونَ- فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ
الْإِيمَانِ؛ فَأَيُّقُنُوا أَنْكُمْ غَيْرُ فَائِتِنٍ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ؛ فَأَنْتُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ
وَقُدْرَتِهِ، وَبَشِّرْ -يَا مُحَمَّدُ- الْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ مُؤَلِمٍ مُوجِعٍ، يُصِيبُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

هذه البراءةُ النَّامَةُ الْمُطْلَقَةُ مِنْ جَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا مَنْ
عَاهَدْتُمُوهُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا مِمَّا
عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُعِينُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِكُمْ، فَأَوْفُوا
إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَلَا تَنْقُضُوهُ، إِلَى
انْتِهَاءِ الْمُدَّةِ الَّتِي اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهَا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ،
فَيَمْتَلِكُونَ أُمُورَهُ وَيَجْتَنِبُونَ مَعَاصِيَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْهُمْ يُؤْفُونَ
بِعُهُودِهِمْ وَلَا يَنْقُضُونَهَا.

فَإِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا لَقِيتُمُوهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ-، وَخُذُوا الْكُفَّارَ أَسْرَى، وَضَيِّقُوا
عَلَيْهِمْ، وَامْنَعُوهُمْ مِنَ الْإِنْتِشَارِ فِي الْأَرْضِ، وَالْدُّخُولِ إِلَيْكُمْ،
وَحَاصِرُوهُمْ إِنْ تَحَصَّنُوا، وَاقْعُدُوا لِقَتْلِهِمْ أَوْ أَسْرِهِمْ عَلَى كُلِّ
طَرِيقٍ يَمْرُؤُونَ مِنْهُ، فَإِنْ رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ،
وَأَدَّوْا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِهَا الْإِكْمَالِ،
وَأَعْطَوْا الزَّكَاةَ مُسْتَحَقِّهَا؛ فَاتْرُكُوا -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- طَرِيقَهُمْ،
لَا تَقْعُدُوا عَلَيْهِمْ، وَدَعُوهُمْ يَذْهَبُونَ حَيْثُمَا يَشَاؤُونَ، دُونَ أَنْ
تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَسْتُرْ ذُنُوبَهُمْ،
وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مَوَازِينِهِمْ بِهَا، رَحِيمٌ بِهِمْ.

وإن استأمنك -يا محمد- أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم، فأمنه حتى تتلو عليه القرآن، ويسمعه، ويفهم ما أنزل عليك؛ لنقوم عليه حجة الله، ثم إن لم يسلم، فاتركه يرجع إلى بلده ودياره التي يأمن فيها. ذلك من أجل أنهم قوم جهلة لا يعلمون دين الله.

كيف يكون للمشركين برّهم عهدُ أمانٍ عند الله وعند رَسوله مُحَمَّدٍ؟! هذا أمرٌ مُستبعدٌ؛ فهو لاءِ قومٌ يُضْمِرُونَ الغدرَ، فلا ينبغي أن يكون للمشركين عهدٌ يأمنون به عدا الذين عاهدتموهم -أيها المؤمنون- يومَ الحُدَيْبِيَّةِ عندَ المسجدِ الحرامِ، وهم مُوفُونَ بعهدهم، فما دامَ المشركونَ مُستقيمينَ لكم -أيها المؤمنون- على ما تعاهدتم عليه، فاستقيموا لهم كذلك إلى انتهاءِ مُدَّةِ العهدِ، وأوفُوا لهم بعهدهم، ولا تَبْدُؤُواهم بِنَقْضِهِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ، فَيَمْتَلِئُونَ أَمْرَهُ، وَيجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُوفُونَ بِالْعُهُودِ، وَلَا يَغْدِرُونَ.

كيف يكون للمشركين عهدُ أمانٍ، والحالُ أَنَّهُمْ إنْ يَغْلِبُوكُمْ -أيها المؤمنون- لا يَرَحْمُوكُمْ، ولا يُرَاعُوا فيكم اللهَ، ولا قَرَابَةً، ولا عهدًا؟! يَقُولُ لكم المشركونَ بِالسَّنَةِ كَلَامًا طَيِّبًا يُرْضِيكُمْ -أيها المؤمنون-، لَكِنَّ قُلُوبَهُمْ تَمْتَنِعُ أَنْ تُوَافِقَ مَا يَنْطِقُونَ بِهِ؛ فَهِيَ مُنْطَوِيَّةٌ عَلَى بُغْضِكُمْ وَعَدَاوَتِكُمْ، وَالامْتِنَاعِ عَنْ مُحَبَّتِكُمْ، وَالدُّخُولِ فِي دِينِكُمْ، وَكَثُرَ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، نَاقِضُونَ لِلْعُهُودِ، لَا دِيَانَةَ لَهُمْ، وَلَا مُرُوءَةً.

استبدلَ أَوْلَئِكَ المشركونَ، بِآيَاتِ الْقُرْآنِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَمَتَاعِهَا الْفَانِي، فَتَرَكَوا اتِّبَاعَهَا لِذَلِكَ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، فَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَمَنَعُوا

غَيْرَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَحَاوَلُوا رَدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، بِنَسْ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ؛ مِنْ اسْتِبْدَالِهِمُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، وَصَدَّهِمُ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ الرَّحْمَنِ!

لَا يُرَاعِي أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ فِي أَيِّ مُؤْمِنٍ قَدَّرُوا عَلَيْهِ اللَّهَ وَلَا قَرَابَةً وَلَا عَهْدًا، وَأَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ هُمُ الْمُجَاوِزُونَ حُدُودَ اللَّهِ، الظَّالِمُونَ لِعِبَادِ اللَّهِ.

فَإِنْ رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَأَدَّوْا الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ، وَأَعْطَوْا الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ مُسْتَحِقِّيَهَا؛ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- فِي الْإِسْلَامِ، وَتُبَيَّنَ آيَاتُ الْقُرْآنِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عَنْ اللَّهِ بَيَانَهُ وَآيَاتِهِ، فَيَفْهَمُونَهَا، وَيَتَفَكَّرُونَ فِيهَا، وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا.

وَإِنْ نَقَضَ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَاهَدُوكُمْ عَلَى الْأَلَّا يُفَاتِلُوكُمْ، وَلَا يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَقَدَحُوا فِي دِينِكُمُ الْإِسْلَامِ، وَعَابَوْهُ وَانْتَقَصُوهُ، فَقَاتِلُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- رُؤْسَاءَ الْكُفْرِ؛ إِنَّهُمْ لَا عَهْدَ لَهُمْ صَادِقَةً يُوفُونَ بِهَا، قَاتِلُوهُمْ؛ كَيْ يَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

أَلَا تُقَاتِلُونَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَعَزَمُوا بِقُلُوبِهِمْ عَلَى إِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ مِنْ مَكَّةَ، وَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَدَّوُّوكُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَكُمْ، بِقِتَالِ خُلَفَائِكُمْ خِرَاعَةً؟! أَتَخَافُونَ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَتَتْرَكُوا قِتَالَهُمْ؛ لِئَلَّا يَنَالَكُمْ مِنْهُمْ مَكْرُوهٌ؟! فَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ تَخَافُوا مِنْ عُقُوبَتِهِ بِتَرْكِكُمْ جِهَادَهُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا.

قَاتِلُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ؛ يَقْتُلْهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُذَلِّهِمُ اللَّهُ وَيُهْنُهُم بِالْأَسْرِ، وَيَمْنَحُكُمُ النَّصَرَ عَلَيْهِمْ، وَيُدَاوِ اللَّهُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ظَلَمَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَقَهَرُوهُمْ، فَتَنْشَرْحُ صُدُورُهُمْ بِالْإِنْتِصَارِ عَلَيْهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَأَسْرَهُمْ، وَيَزُلُّ مَا حَصَلَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَلَمِ.

وَيُزِلُ اللَّهُ الْغَيْظَ الْكَامِنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ ظُلْمِ الْكُفَّارِ وَقَهَرِهِمْ لَهُمْ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكِينَ، بَأَنْ يُؤَفِّقَهُمُ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشُرْعِهِ، يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

أُظَنُّنْهُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنْ يَتْرُكَكُمْ اللَّهُ دُونَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمْ بِالْجِهَادِ، فَيَعْلَمَ - عِلْمَ ظُهُورِ - الصَّادِقِينَ مِنْكُمْ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ بَطَانَةً سُوءٍ مِنَ الْكُفَّارِ، يُؤَالُونَهُمْ وَيُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ الْمَخْلَصِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ؟! وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمُ الْخَفِيَّةِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ بِنِائِهَا وَتَزِينِهَا، وَالْعِبَادَةَ فِيهَا، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ شَاهِدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ؛ بِمَا يَأْتُونَهُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ كُفْرِيَّةٍ، يُقَرُّونَ بِهَا، وَلَا يُمْكِنُهُمْ إِنْكَارُهَا، أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَلَا يُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ؛ بِسَبَبِ شِرْكِهِمْ، وَأَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، مَا كَثُرَتْ فِيهَا عَلَى الدَّوَامِ.

ما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ حَقًّا -بَقْصِدِهَا وِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِهِ
فِيهَا، وَبِنَائِهَا وَتَرْمِيمِهَا وَالعِنَايَةِ بِهَا- إِلَّا الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَبِالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ بِحُدُودِهَا، وَأَدَّى
الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ إِلَى مُسْتَحْقِّهَا، وَلَمْ يَخَفْ إِلَّا اللَّهَ
تَعَالَى وَحْدَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ؛ لَخَشْيَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ لَاءٌ مِنَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلتَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ الْمُوَصِّلِ إِلَى الْجَنَّةِ.

أَجَعَلْتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- أَصْحَابَ سَفْيِ الْحَجِيجِ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الْمُشْرِكِينَ، كَالْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْمُجَاهِدِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟! لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سُقَاةَ الْحَاجِّ وَعُمَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
مِنَ الْكُفَّارِ، فِي مَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْمُجَاهِدِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلتَّوْبَةِ وَلِفِعْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ.

أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِكُلِّ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمُ
الْإِيمَانُ بِهِ، وَهَاجَرُوا مِنْ أَوْطَانِهِمْ وَدِيَارِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ رَسُولِ
اللَّهِ، وَجَاهَدُوا لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، أَوْلَئِكَ
أَرْفَعُ مَنْزِلَهُ، وَأَعْلَى مَكَانَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سُقَاةِ الْحَاجِّ، وَعُمَرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَوْلَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَظْفَرُونَ
بِمَطْلُوبِهِمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالتَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

يُبَشِّرُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بِأَنْ
لَهُمْ رَحْمَةً عَظِيمَةً مِنْهُ، تَزُولُ بِهَا عَنْهُمْ الشُّرُورُ، وَيَصِلُ إِلَيْهِمْ
بِهَا كُلُّ خَيْرٍ، وَأَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ رِضًا كَامِلًا، فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ
أَبَدًا، وَيُبَشِّرُهُمُ اللَّهُ أَيْضًا بِجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ دَائِمٌ لَا يَزُولُ.
مَا كَثُرْنَ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ بِلَا نِهَآيَةٍ، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ جَزَاءٌ وَثَوَابٌ
كَبِيرٌ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، يَمْنَحُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ فِي النَّسَبِ بَطَانَةً وَأَصْدِقَاءَ، تُنَاصِرُونَهُمْ، وَتُقْسُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُؤْثِرُونَ الْمُكْتَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْهَجْرَةِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، إِنْ اخْتَارُوا الْكُفْرَ بِاللَّهِ، وَاتَّزَوْهُ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ يَتَّخِذْ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَقَارِبَهُ الْكُفَّارَ بَطَانَةً، يُحِبُّهُمْ وَيُنَاصِرُهُمْ، وَيُؤْثِرُ الْمَقَامَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْهَجْرَةِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، فَوَضَعُوا الْوِلَايَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَتَرَكَوا مَا يَنْفَعُهُمْ مِنَ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْهَجْرَةِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ، وَإِخْوَانُكُمْ فِي النَّسَبِ زُوجَاتُكُمْ، وَعُمُومُ أَقَارِبِكُمْ، وَأَمْوَالٌ اِكْتَسَبْتُمُوهَا، وَتَعَبْتُمْ فِي تَحْصِيلِهَا، وَتِجَارَةٌ تَخَافُونَ -إِنْ هَاجَرْتُمْ- عَدَمَ بَيْعِهَا وَرَوَاجِهَا، أَوْ رُخْصَ سِعْرِهَا وَنَقْصَ أَرْبَاحِهَا، وَبَيوتٌ تُحِبُّونَ سُكْنَاهَا، فَلَا تُرِيدُونَ تَرْكَهَا، إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادٍ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ تَعَالَى، فَانْتَظِرُوا -أَيُّهَا الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ- حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِعُقُوبَةٍ عَاجِلَةٍ أَوْ آجِلَةٍ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ، الْمُؤْثِرِينَ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْمَذْكُورَاتِ.

لَقَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ- عَلَى أَعْدَائِكُمُ الْكُفَّارِ فِي غَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَنَصَرَكَ أَيْضًا فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، حِينَ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ، فَلَمْ تُؤْذِكُمْ تِلْكَ الْكَثْرَةُ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ مَعَ سَعَتِهَا؛ لِشِدَّةِ مَا أَصَابَكُمْ، ثُمَّ فَرَرْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ مُنْهَزِمِينَ.

ثُمَّ بَعَدَ أَنْ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدِيرِينَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ طُمَأْنِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَذْهَبَ خَوْفَهُمْ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ تَرَوْهَا -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ-، أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْوَةِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَنْبِيهِتِهِمْ، وَتَبَشِيرِهِمْ بِالنَّصْرِ، وَعَذَّبَ اللَّهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ الْكَافِرِينَ، بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ؛ بِقَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، وَسَبْيِ أَهْلِيهِمْ وَذُرَارِيَّتِهِمْ، وَذَلِكَ جَزَاءُ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

ثُمَّ يُوفِّقُ اللَّهُ لِلتَّوْبَةِ -مِنْ بَعْدِ تَعْذِيبِ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا- مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لَذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، مَا الْمُشْرِكُونَ بِجَمِيعِ مِلَلِهِمْ إِلَّا نَجَسَةٌ وَخَبِيثَةٌ بِوَاطِنِهِمْ؛ بِالشِّرْكِ وَالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ، فَلَا تُمَكِّنُوهُمْ مِنْ دُخُولِ جَمِيعِ الْحَرَمِ، بَعْدَ هَذَا الْعَامِ التَّاسِعِ لِلْهَجْرَةِ، الَّذِي نَبَذْتُمْ فِيهِ لِجَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ عُهُودَهُمْ، وَإِنْ خِفْتُمْ فَقَرًّا بِسَبَبِ مَنْعِكُمُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ، وَانْقِطَاعِ التِّجَارَةِ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ؛ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ رِزْقِهِ إِنْ شَاءَ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَفِي تَدْبِيرِ شُؤُنِ خَلْقِهِ، يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

قَاتِلُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- الْكُفَّارَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إِمَانًا صَاحِبًا، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا يَحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَمَا حَرَّمَ رَسُولُهُ، فَلَا يَتَّبِعُونَ شَرِيعَتَهُ، وَلَا يَدِينُونَ بِالْإِسْلَامِ، قَاتِلُوهُمْ إِلَى أَنْ يَقْبَلُوا دَفْعَ أَمْوَالِ الْجَزْيَةِ -الَّتِي تُؤْخَذُ جَزَاءَ تَرْكِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالَهُمْ، وَإِقَامَتِهِمْ أَمْنِينَ بَيْنَ

أظهر المسلمين، وذلك في حال كونهم لم يُسلموا- فيبذلوها لكم بأيديهم، وهم أدلاءٌ مقهورون.

وقالت اليهود: عَزِيزٌ هو ابنُ الله! وقالت النصارى: المسيح عيسى ابنُ مريم، هو ابنُ الله! ذلك قولهم بالسنتيم، فلا مُستندَ لهم فيما ادَّعَوْه، يُشابهُ قولهم في نسبَتهم الولدَ إلى الله تعالى قولَ الكُفَّارِ مِنَ الأمَمِ قَبْلَهُمْ في ذلك، لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى، كيف يُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ، فيُضِلُّونَ عنه، وَيَعْدِلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ!؟

اتَّخَذَ الْيَهُودُ عُلَمَاءَهُمْ، واتَّخَذَ النَّصَارَى عُبَادَهُمْ، سَادَةً يُطِيعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، في تحليلِ الحرام، وتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، واتَّخَذَ النَّصَارَى الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ! وما أَمَرَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي كُتُبِهِمْ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا وَيُطِيعُوا مَعْبُودًا وَاحِدًا، وهو اللهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، الْمُتَفَرِّدُ بِالتَّشْرِيعِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ دُونَ مَا سِوَاهُ، لَا مُسْتَحَقٌّ لِلْعِبَادَةِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، تَنَزَّهَ اللهُ وَتَقَدَّسَ أَتَمَّ تَنْزِيهِهِ، عَنْ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ، وافتراءاتِ الكافرين.

يُرِيدُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنْ يُبْطِلُوا دِينَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ، بما يقولونه بالسنتيم مِنْ تَكْذِيبِ الْحَقِّ، وافتراءاتِ عَلَيْهِ، وَلَا يَرْضَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ دِينُهُ، وَيُظْهَرَ لِلنَّاسِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكُفَّارُ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُتِمُّهُ لَا مَحَالَةَ.

اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، ومعرفةِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، وَبَعَثَهُ بِدِينِ الْإِسْلَامِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ النَّافِعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِيُعْطِيَ اللهُ الْإِسْلَامَ بِالْغَلْبَةِ وَالْإِنْتِصَارِ عَلَى أَهْلِ

الأديان، ويُعَلِّيه بالحُجَّةِ والبرهان على سائر الأديان، ولو كرهَ
المشركونَ ظُهورَ الإسلامِ على جميعِ الأديانِ، فإنَّ اللهَ سيُظهرُهُ.
يا أيُّها المؤمنونَ، إِنَّ كَثِيرًا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَعِبَادِ
النَّصَارَى، يَتَمَلَّكونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ وَيُعْرِضُونَ عَنْ
اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالَّذِينَ
يَجْمَعُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَيُمَسِّكُونَهَا، وَلَا
يُخْرِجُونَ حَقوقَ اللهِ مِنْهَا - مِنَ الزَّكَاةِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ، وَبَدَلِهَا
فِي الْجِهَادِ - فَبَشِّرْهُمْ يَا مُحَمَّدٌ بِعَذَابٍ مُوَجَّعٍ.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوقَدُ عَلَى كُنُوزِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُحَرَّقُ بِالذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ الْمَكْنُوزَةِ جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ
تُوبِيخًا وَتَهْكُمًا: هَذَا الَّذِي تَكُونُونَ بِهِ فِي النَّارِ هُوَ مَا جَمَعْتُمْ فِي
الدُّنْيَا لِأَنْفُسِكُمْ، دُونَ أَنْ تُؤَدُّوا حَقوقَ اللهِ فِيهِ، فَاطْعَمُوا عَذَابَ
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَكْنِزُونَهُ

إِنَّ عَدَدَ الشُّهُورِ فِي حُكْمِ اللهِ وَتَقْدِيرِهِ، اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا قَمَرِيًّا،
مَكْتُوبَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْ
هَذِهِ الشُّهُورِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ يَحْرُمُ انْتِهَاكُ الْمَحَارِمِ فِيهَا
أَشَدَّ مِمَّا يَحْرُمُ فِي غَيْرِهَا، وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ،
وَمُحَرَّمٌ، وَرَجَبٌ، هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ - مِنْ كَوْنِ الشُّهُورِ اِثْنَيْ
عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ - هُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ، وَالْحِسَابُ
الصَّحِيحُ، فَلَا تَظْلِمُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْفُسَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ
الْأَرْبَعَةِ الْحُرُمِ، بَارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ، وَقَاتِلُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -
الْمُشْرِكِينَ كُلَّهُمْ، وَأَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ مُؤْتَلِفُونَ مُتَوَافِقُونَ جَمِيعًا عَلَى
قَتَالِهِمْ، بَلَا تَفَرِّقُوا وَلَا تَخَاضِلُوا وَلَا تَقَاطِعُوا، كَمَا يَقَاتِلُكُمُ الْمُشْرِكُونَ
مُجْتَمِعِينَ غَيْرَ مُتَفَرِّقِينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً،

وَاتَّقِئْتُمُ اللَّهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ واجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ بِعَوْنِهِ
وَتَأْيِيدِهِ، وَينصُرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمُ الْمُشْرِكِينَ.

إِنَّمَا تَأْخِيرُ تَحْرِيمِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الْحُرْمِ، وَتَغْيِيرُهَا عَمَّا
شَرَعَهُ اللَّهُ زِيَادَةً فِي كُفْرِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، الَّذِينَ ابْتَدَعُوا هَذَا
التَّأْخِيرَ، يُضِلُّ بِهَذَا التَّأْخِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَ ذَلِكَ النَّسِيءَ
عَامًا دُونَ عَامٍ، فَيُحِلُّونَ شَهْرَ مُحَرَّمٍ عَامًا، وَيُحَرِّمُونَهُ فِي عَامٍ
آخَرَ، فَإِذَا قَاتَلُوا فِي الْمَحَرَّمِ أَحَلُّوه، وَحَرَّمُوا مَكَانَهُ صَفَرًا، وَإِذَا
لَمْ يُقَاتِلُوا فِيهِ حَرَّمُوهُ؛ لِيُؤَافِقُوا بِتَحْلِيلِهِمْ شَهْرَ مُحَرَّمٍ، وَتَحْرِيمِهِمْ
شَهْرَ صَفَرٍ، عَدَدَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ كُلَّ عَامٍ بِلَا
زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ فِي الْعَدَدِ، فَيُحِلُّوا بِتَأْخِيرِ حُرْمَةِ شَهْرِ مُحَرَّمٍ
مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حُسْنَ لِلْمُشْرِكِينَ سَيِّئٌ أَعْمَالِهِمْ وَقَبِيحُهَا،
وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ الْمَصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَيُخَذِّلُهُمْ عَنِ الْهُدَى.
مَا الَّذِي يَدْعُوَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِذَا أُمِرْتُمْ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ
لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاقَلُوا وَتَتَبَاطِئُوا وَتَتَقَاعَسُوا، وَتَمِيلُوا
إِلَى لُزُومِ أَرْضِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ؟! أَرْضًا مِنْكُمْ بِنَعِيمِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَرَاحَتِهَا، بَدَلًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ؟! فَمَا الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهِ
الْمَتَمَتِّعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا -الَّتِي مَالَتْ بِكُمْ- مُقَابَلَةً بِمَا سَيَتَمَتَّعُ
بِهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ؛ إِلَّا يَسِيرٌ مَحْدُودٌ، وَوَقْتُهُ قَصِيرٌ مَعْدُودٌ،
فَكَيْفَ تَقْدِمُونَ الْقَلِيلَ الرَّائِلَ عَلَى الْكَثِيرِ الْبَاقِي؟!

إِنْ لَمْ تُبَادِرُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِالْخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ بَعْدَ أَنْ
دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ عَذَابًا مُوجِعًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَسْتَبْدِلُ
بِكُمْ قَوْمًا آخَرِينَ، أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْكُمْ، إِذَا اسْتَنْفَرُوا إِلَى الْجِهَادِ
أَجَابُوا، وَنَصَرُوا دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَضُرُّوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ
شَيْئًا؛ فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ، وَنَاصِرٌ دِينَهُ، وَإِنَّمَا تَضُرُّونَ أَنْفُسَكُمْ،

بَتَرِكْكُمْ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ كُلِّ شَيْءٍ.

إِنْ تَتْرَكُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- نُصْرَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكُفَّارِ، فَسَيَنْصُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا نَصَرَهُ مِنْ قَبْلُ، حِينَ اضْطَرَّه كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالْحَالُ أَنَّهُ أَحَدُ اثْنَيْنِ فَحَسَبُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ حِينَ كَانَا مُخْتَفَيْنِ مِنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي غَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، إِذْ يَقُولُ الرَّسُولُ لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ: لَا تَحْزَنْ -يَا أَبَا بَكْرٍ- لِأَنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِنُصْرِهِ وَحِفْظِهِ، وَلَنْ يَصِلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الطُّمَأْنِينَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَقَوَاهُ، وَأَعَانَهُ بِجُنُودٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَمْ تَرَوْهَا أَنْتُمْ، وَجَعَلَ اللَّهُ كَلِمَةَ الْكُفَّارِ -وَهِيَ الشِّرْكَ وَالْكُفْرُ- حَقِيرَةً مَقْهُورَةً، فَأَدَّلَ اللَّهُ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، وَخَذَلَهُمْ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ -وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَدِينُهُ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ- هِيَ الْغَالِبَةُ الْمَنْصُورَةُ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ، لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَفُوتُهُ أَحَدٌ، قَاهِرٌ غَالِبٌ، مَنِيْعُ الْجَنَابِ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَفِي تَدْبِيرِهِ خَلْقَهُ، يَضَعُ سُبْحَانَهُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا اللَّائِقَةَ بِهَا.

اخْرُجُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِلَى جِهَادِ الْكُفَّارِ مُسْرِعِينَ، سِوَاءِ اخْفَافٍ عَلَيْكُمُ الْجِهَادِ وَسَهْلٍ، أَمْ ثَقَلٍ وَصَعْبٍ، وَسِوَاءِ أَكُنْتُمْ شَبَابًا أَمْ شَيْوخًا، أَغْنِيَاءَ أَمْ فَقَرَاءَ، أَقْوِيَاءَ أَمْ ضُعَفَاءَ، نَشِيطِينَ أَمْ كُسَالَى، فَارَغِينَ مِنَ الشُّغْلِ أَمْ مَشْغُولِينَ، وَابْذُلُوا جُهْدَكُمْ فِي إِنْفَاقِ أَمْوَالِكُمْ فِي تَجْهِيزِ الْعِزَّةِ، وَالْإِعْدَادِ لِلْجِهَادِ، وَقِتَالِ الْكُفَّارِ بَأَنْفُسِكُمْ، لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ. أَمُرُّكُمْ بِالْفَقِيرِ، وَبِالْجِهَادِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ، فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي دُنْيَاكُمْ

وَأَخْرَجَكُمْ، وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ حَقًّا
شَرَفَ الْجِهَادِ، وَفَضَلَ الْمُجَاهِدِينَ.

لو كان -يا مُحَمَّدُ- ما تدعو إليه الْمُنَافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ غَزْوِ
الرُّومِ، غَنِيمَةً حَاضِرَةً سَهْلَةً التَّنَاولِ، وَسَفَرًا سَهْلًا لِمَوْضِعٍ
قَرِيبٍ- لَخَرَجُوا مَعَكُمْ؛ طَمَعًا فِي مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ طَالَتْ
عَلَيْهِمْ مَسَافَةُ السَّفَرِ لِعَزْوِ الرُّومِ، فَتَرَكُوا الْمَسِيرَ مَعَكُمْ؛ لَشِدَّةِ
الْمَشَقَّةِ، وَسِيَحِلْفُ لَكَ -يا مُحَمَّدُ- هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُونَ
كَاذِبِينَ: وَاللَّهِ لَوْ أَطَقْنَا الْخُرُوجَ مَعَكُمْ فِي الْعَزْوِ -بِوُجُودِ الْمَالِ
وَالْمَرَاقِبِ، وَقُوَّةِ الْبَدَنِ- لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ لِقِتَالِ الرُّومِ! يُوجِبُ
الْمُنَافِقُونَ لَأَنْفُسِهِمْ غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ؛ بِسَبَبِ نِفَاقِهِمْ، وَخَلْفِهِمْ
بِاللَّهِ تَعَالَى كَاذِبِينَ، وَتَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ
-فِي اعْتِزَالِهِمْ عَنِ الْقُعُودِ، وَخَلْفِهِمْ- كَاذِبُونَ.

سَامَحَكَ اللَّهُ وَغَفَرَ لَكَ -يا مُحَمَّدُ- عَلَى إِذْنِكَ لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ،
الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوكَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكُمْ، لِأَيِّ شَيْءٍ أَذْنْتَ
لِلْمُنَافِقِينَ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ لِعَزْوِ الرُّومِ؟! كَانَ يَنْبَغِي
لَكَ عِنْدَمَا اسْتَأْذَنَكَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ لِحِجَابِ الرُّومِ، أَلَّا
تَأْذِنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي تَخَلُّفِهِمْ،
فَتَعْذِرَ هُمْ، وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا تَخَلَّفُوا نِفَاقًا
وَشُكًّا فِي دِينِ اللَّهِ.

لَا يَسْتَأْذِنُكَ -يا مُحَمَّدُ- أَصْحَابُكَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَبِالْبَعَثِ،
وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، فِي تَرْكِ جِهَادِ الْكُفَّارِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ،
وَلَا يَطْلُبُونَ مِنْكَ أَنْ تَأْذِنَ لَهُمْ فِي الْجِهَادِ، بَلْ يُبَادِرُونَ إِلَيْهِ؛ لَشِدَّةِ
رَغْبَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ، وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِهِؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ، وَبِكُلِّ مَنْ يَتَّقِيهِ

بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وسيُجازيهم على تقواهم له أعظم الثواب.

إنما يستأذنك -يا مُحَمَّدُ- في القُعودِ والتَّخَلُّفِ عن جهادِ الكُفَّارِ بأعداءِ كاذبةٍ، المُنافِقونَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ باللهِ تعالى، ولا بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وقد شَكَّتْ قُلُوبُهُمْ فِي صِحَّةِ الدِّينِ، وظُهورِ أمره، فهم فِي شَكِّهِمْ يَتَحَيَّرُونَ، وَيَتَذَبذَبُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ. ولو أَرَادَ الْمُنافِقُونَ الْخُرُوجَ مَعَكَ -يا مُحَمَّدُ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، لَتَأْهَبُوا لِلْخُرُوجِ، بِإِعْدَادِ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ لَوَازِمِ السَّفَرِ وَالْقِتَالِ، وَلَكِنْ لَمْ يُحِبَّ اللَّهُ تَعَالَى انْطِلَاقَ الْمُنافِقِينَ مَعَكَ -يا مُحَمَّدُ- فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ؛ لَعِلَّهِ أَنْ فِي خُرُوجِهِمْ شَرًّا وَضَرَرًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَتَقَلَّه عَلَيْهِمْ، وَكَسَلَهُمْ عَنْهُ، وَقِيلَ: اقْعُدُوا عَنِ الْجِهَادِ مَعَ الَّذِينَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِم النُّهُوضُ وَالْخُرُوجُ لِلْقِتَالِ، كَالضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى، وَالصَّبِيَّانِ وَغَيْرِهِمْ.

لو خَرَجَ هَؤُلَاءِ الْمُنافِقُونَ فِي جُمْلَتِكُمْ -أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- لَغَزَوْا الرُّومَ، فَلَنْ يَزِيدُوكُمْ بِخُرُوجِهِمْ شَيْئًا سِوَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَإِيقَاعِ الْاضْطِرَابِ بَيْنَكُمْ، وَلَأَسْرَعُوا سَيْرَهُمْ فِي الدُّخُولِ وَالْمَشْيِ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ، وَإِفْسَادِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ؛ لِتَفْرِيقِ كَلِمَتِكُمْ، وَبَثِّ الْإِشَاعَاتِ لِنَتَبِيطِكُمْ، وَفِيكُمْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَ الْمُنافِقِينَ، فَيَقْبَلُهُ، وَيُطِيعُهُمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُو عِلْمٍ بِأُولَئِكَ الْمُنافِقِينَ الظَّالِمِينَ، وَبِمَنْ يَقْبَلُ كَلَامَهُمْ وَيُطِيعُهُمْ، وَبِكُلِّ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ أَوْ لغيرِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْ ظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

لَقَدْ طَلَّبَ الْمُنافِقُونَ فِتْنَةَ الْمُسْلِمِينَ، بِصَدِّهِمْ عَنِ الدِّينِ، وَإِفْسَادِ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِ غَزْوَةِ تَبُوكَ، كَمَا فَعَلُوا فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ

وغيرها، وطلب المنافقون الشر لك -يا محمد- فصرّفوا آراءهم، وأجالوا أفكارهم، وأعملوا الحيل والمكايد، ساعين بذلك لإنكار دينك، وصدّ الناس عن اتباعك، وتخذيّل أصحابك عنك، إلى أن جاء نصرُ الله تعالى، وغلب دينُ الله -الإسلام- وعلا وظهّر وانتصر، والحال أنّ المنافقين كانوا يظهرون ويُسوّونهم انتصاره وعلوّه.

ومن المنافقين من يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى غزو الروم: انذن لي في القعود عن الخروج معك، ولا تبتلني بروية نساء الروم؛ فإني إن رأيتهن لا أصبرُ عنهن، فأقع في الإثم بسبب الخروج معكم! ألا إنّ هؤلاء المنافقين قد وقّعوا في الفتنة العظيمة ببقائهم في الكفر، وإثمهم بالتخلف عن الجهاد، ومعصية الرسول، وإن نار جهنم سُحِيط بالكافرين يوم القيامة، وتحدّق بهم من كلّ جانب، فليس لهم عنها مفرّ.

إن غزوَتْ ونصرك الله على أعدائك، وظهرت عليهم وغنمت، وتتابع الناس في دخول دينك؛ ساء ذلك المنافقين، وحزنوا من أجله، وإن تُصِبَكَ مُصيبةٌ بهزيمة في جيش المؤمنين أو قتل أو جراح، يقلّ المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا جذرنا من قبل أن يُصيبكم هذا المكروه، فسلمنا لأنّا لم نخرج معكم، وينصرف المنافقون - إن أصابك مصيبةٌ - وهم مسرورون بما أصابك، ومسرورون بسلامتهم بتخلفهم عنك.

قل -يا محمد- للمنافقين الذين يفرحون بما يُصيبكم من مكروه: لن يُصيبنا إلّا ما قدره الله وكتبه لنا في اللوح المحفوظ، الله هو سيّدنا وناصرنا، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون، ويُفوضوا أمورهم إليه.

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُكُمْ مِنْ مَكْرِهِ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَا إِلَّا أَنْ تُصِيبَنَا إِحْدَى الْخَلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِمَا: النَّصْرُ أَوْ الشَّهَادَةُ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا بِعُقُوبَةٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِعَذَابٍ بِأَيْدِينَا، فَيَسْلُطْنَا عَلَيْكُمْ، فَتَقْتُلَكُمْ، إِنْ أَظْهَرْتُمْ نِفَاقَكُمْ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِنْ فَا تَنْتَظِرُوا، وَنَحْنُ مَعَكُمْ مُنْتَظِرُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِنَا وَبِكُمْ.

قُلْ -يا مُحَمَّدُ- لِلْمُنَافِقِينَ: سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَنْفَقْتُمْ أَمْوَالَكُمْ بِاخْتِيَارِكُمْ أَمْ بِغَيْرِ رِضَا مِنْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ نَفَقَاتِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا كَافِرِينَ، خَارِجِينَ عَنِ طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمَا مَنَعَ قَبُولَ نَفَقَاتِ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ، وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَواتِ الْمَفْرُوضَةَ إِلَّا وَهُمْ مُتَنَاقِلُونَ عَنْهَا، يُرَاوُونَ النَّاسَ بِهَا، وَلَا يُنْفِقُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي أَوْجِهَةِ الْخَيْرِ -رِعَايَةِ لِمَصَالِحِهِمُ الْخَاصَّةِ- إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ لِهَذَا الْإِنْفَاقِ، وَيَعْدُوْنَهُ مَغْرَمًا لَا مَغْنَمًا.

فَلَا تَسْتَحْسِنُ -يا مُحَمَّدُ- أَمْوَالَ الْمُنَافِقِينَ وَلَا أَوْلَادَهُمْ، مِمَّا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ؛ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَعَذِّبَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَيَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ وَهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيَتَّصِلَ لَهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ الدَّائِمِ، بِعَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَيَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ يَمِينًا مُؤَكَّدَةً لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- كَذِبًا: إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مِثْلَكُمْ، وَلَيْسُوا -فِي الْحَقِيقَةِ- مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ، بَلْ هُمْ كُفَّارٌ، وَأَعْدَاءُ لَكُمْ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخَافُونَ مِنْكُمْ فَيَحْلِفُونَ لَكُمْ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ؛ لِيَأْمَنُوكُمْ.

لو يَجِدُ الْمُنَافِقُونَ مَكَانًا يَتَحَصَّنُونَ فِيهِ، أَوْ كُهُوفًا فِي الْجِبَالِ، أَوْ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ، يُتَكَفَّفُ الدُّخُولُ إِلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ- لَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَهُمْ يُسْرِعُونَ فِي مَشْيِهِمْ؛ لِشِدَّةِ كَرَاهَتِهِمْ لَكُمْ، وَنُفُورِهِمْ مِنْكُمْ، وَخَوْفًا مِنَ الْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ مَعَكُمْ.

وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَعْبُوكَ وَيَتَّهِمُكَ وَيَنْتَقِدُكَ -يَا مُحَمَّدٌ- طَاعِنًا عَلَى قِسْمَتِكَ، وَتَوَازِيْعِكَ أَمْوَالَ الزَّكَاةِ عَلَى مُسْتَحِقِّيْهَا، فَإِنْ أُعْطِيَتِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الصَّدَقَاتِ قَدَرٌ مَا يَرْضَوْنَ، رَضُوا وَسَكَتُوا عَنْكَ، وَإِنْ لَمْ تُعْطِهِمْ مَا يُرْضِيهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ، غَضِبُوا عَلَيْكَ، وَعَابُوكَ!

وَلَوْ أَنَّ أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقِينَ قَنَعُوا بِمَا أُعْطَاهُمَ اللَّهُ، وَقَسَمَهُ لَهُمْ رَسُولُهُ، وَقَالُوا: كَافَيْنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، سَيُعْطِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، وَسَيَقْسِمُ لَنَا رَسُولُهُ الْكَرِيمُ، وَقَالُوا: إِنَّا نَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، أَنْ يُغْنِيَنَا مِنْ فَضْلِهِ، وَيَرْزُقَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

إِنَّمَا أَمْوَالُ الزَّكَاةِ مُسْتَحَقَّةٌ لِلْفُقَرَاءِ وَلِلْمَسَاكِينِ، وَلِلْعَامِلِينَ عَلَى الزَّكَاةِ، الَّذِينَ يَجْمَعُونَهَا، وَيُوزَعُونَهَا، وَلِمَنْ يُرَادُ تَأْلِيفُ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي عِتْقِ الرِّقِيقِ بِشْرَانِهِمْ وَتَحْرِيرِهِمْ، وَإِعَانَةِ الْمُكَاتِبِينَ عَلَى أَدَاءِ مَالِ الْمُكَاتِبَةِ، وَفِدَاءِ الْأَسْرَى، وَلِلْمَدِينِينَ الَّذِينَ اسْتَدَّأُوا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ مَا يُؤْفُونَ بِهِ دَيْنَهُمْ، أَوْ تَحْمَلُوا مَالًا لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِي النَّفَقَةِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، فَيُعْطَى الْمُجَاهِدُونَ مِنَ الزَّكَاةِ مَا يُعِينُهُمْ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ، وَلِلْمُسَافِرِ، الْمَجْتَازِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، لَيْسَ مَعَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى سَفَرِهِ؛ فَرَضَ اللَّهُ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ فَرِيضَةً عَلَى

الأغنياء في أموالهم، وقسمها بنفسه لأهل تلك الأصناف دون غيرهم، والله عليهم بمصالح خلقه، لا يخفى عليه شيء من ظواهر الأمور وبواطنها، حكيم في قوله وفعله، وفي خلقه وشرعه، يضع كل شيء في موضعه اللائق به.

ومن المنافقين جماعة يؤذون محمدًا ويعيبونه، ويقولون عنه: هو أذن سامعة؛ فمن قال له شيئًا صدقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له بالكذب معتذرين عما بلغه منا، صدقنا! قل -يا محمد- لهؤلاء المنافقين: النبي مصغ للخير، لا مستمع للشر، وإن سمع ما يبلغه عنكم لم يؤخذكم به؛ لِسعة صدره، ويسمع معاذيركم، ويقبلها منكم؛ لحسن خلقه، والنبي يؤمن بالله تعالى وحده وبما أوحى إليه، وهو يصيق المؤمنين فيما يخبرونه به، لا أهل التَّفَاق والكُفر بالله تعالى، والنبي رحمة للمؤمنين منكم، الصادقين في إيمانهم، والذين يؤذون رسول الله محمدًا بأقوالهم أو أفعالهم؛ لهم عذابٌ موجعٌ في الدنيا والآخرة. يحلفُ المنافقون بالله لكم كذبًا -أيها المؤمنون- فيتبرؤون من أذاهم لرسول الله، ويؤكدون لكم أنهم على دينكم؛ يبتغون بذلك رضاكم، والله ورسوله أحقُّ بالإرضاء منكم إن كان هؤلاء المنافقون مؤمنين بالله ورسوله حقًا كما يدَّعون.

ألم يعلم المنافقون أنه من يخالف الله ورسوله، ويُعَادِهما ويُحَارِبُهُما؛ فإنَّ له نارَ جهنَّم في الآخرة، ما كنَّا فيها أبدًا إلى غير نهاية؟! وذلك هو الهوان والذلُّ الكبير.

يخشى المنافقون أن يُنزلَ الله عزَّ وجلَّ في شأنهم سورةً تُخبرُهُم بما يُخفونه في قلوبهم، من الكُفر والتَّفَاق، فيعلم المؤمنون أسرارهم، قل -يا محمد- للمنافقين: استمروا على ما

أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ؛ إِنَّ اللَّهَ مُظْهِرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ -بِمَا يُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ- مَا تَخْشَوْنَ ظُهُورَهُ.

وَلَئِنْ سَأَلْتِ الْمُنَافِقِينَ -يَا مُحَمَّدُ- عَمَّا قَالُوهُ فِي خَلَوَاتِهِمْ مِنَ الطَّعْنِ فِي أَصْحَابِكَ وَدِينِكَ، لَيَقُولَنَّ لَكَ: إِنَّمَا كُنَّا نَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَنَلْعَبُ بِذَلِكَ الْحَدِيثِ، وَلَمْ نَقْصِدْ بِهِ الطَّعْنَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِّلْمُنَافِقِينَ: أَبِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَآيَاتِ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَخِفُّونَ وَتَسَخَرُونَ؟!

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِّلْمُنَافِقِينَ: لَا تَذْكُرُوا أَعْذَارًا؛ فَإِنَّهَا لَنْ تَنْفَعَكُمْ، قَدْ أَظْهَرْتُمُ الْكُفْرَ بِاسْتِهْزَائِكُمْ بِدِينِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ تُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ. إِنْ نَعَفُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْكُمْ لِتَوْبَتِهِمُ الصَّادِقَةِ، نُعَذِّبْ جَمَاعَةً أُخْرَى مِنْهُمْ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، مُصِرِّينَ عَلَى نِفَاقِهِمْ، وَطَعْنِهِمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ.

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ هُمْ صِنْفٌ وَاحِدٌ مُتَشَابِهُونَ فِي كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأْمُرُونَ بِمَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ وَيُنْكَرُهُ؛ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَأْمُرُ بِهِ؛ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُمْسِكُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنِ إِخْرَاجِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ، وَعَنْ كُلِّ مَا وَجِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّفَقَاتِ، نَسِيَ الْمُنَافِقُونَ ذِكْرَ اللَّهِ وَتَرَكَوا طَاعَتَهُ، فَتَرَكَ اللَّهُ هِدَايَتَهُمْ وَرَحْمَتَهُمْ، وَبَتَرَكُهُمْ مَخْلَدِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَجَمِيعَ الْكُفَّارِ أَنْ يُدْخِلَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ، مَآكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَهِيَ كَافِيَةٌ لِعِقَابِهِمْ؛ جَزَاءٌ عَلَى نِفَاقِهِمْ

وَكُفِّرْهُمْ، وَأَبْعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَفَّارَ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقُطِعُ.

فَعَلْتُمْ - أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ وَالْكَفَّارُ - كِفْعَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، فَسَيَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا أَقْوَى مِنْكُمْ، وَأَكْثَرُ مِنْكُمْ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَتَمَتَّعَ كُفَّارُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِنَصِيبِهِمُ الْمَقْدَرُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، مُؤَثِّرِينَ لَهُ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ، فَتَمَتَّعْتُمْ - أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ وَالْكَفَّارُ - بِنَصِيبِكُمْ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَأَعْرَضْتُمْ عَنِ الْآخِرَةِ كَذَلِكَ، كَمَا تَمَتَّعَ الْكَفَّارُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِنَصِيبِهِمْ، وَخَضْتُمْ - أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ وَالْكَفَّارُ - فِي الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ، وَالْبَاطِلِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ؛ مِثْلَ الْخَوْضِ الَّذِي خَاضَتْهُ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، أَوْلَيْتُمْ بَطْلًا أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا يَقْبَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَلَا يُثَبِّتُهَا عَلَيْهِمْ، وَأَوْلَيْتُمْ خَسِرُوا بِحِرْمَانِ الْخَيْرِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَلَمْ يَسْمَعْ الْمُنَافِقُونَ وَالْكَفَّارُ خَبَرَ إِهْلَاكِنا الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ الْمَاضِيَةِ؛ قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ قَوْمِ هُودٍ، وَثَمُودَ قَوْمِ صَالِحٍ، وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَهْلِ مَدْيَنَ قَوْمِ شُعَيْبٍ، وَأَهْلِ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، الَّتِي انْقَلَبَتْ بِهِمْ فِصَارٌ أَعْلَاهَا أَسْفَلُهَا؟! جَاءَتْهُمْ رُسُلُ اللَّهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ، فَكَذَّبُوهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَ تِلْكَ الْأُمَمَ الْمَكْذُوبَةَ بِإِهْلَاكِهِمْ قَبْلَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ كَانُوا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ وَعِصْيَانِهِ، وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، فَاسْتَحَقُّوا عِقَابَهُ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ فَبَعْضُهُمْ أَنْصَارُ بَعْضٍ، مُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِكُلِّ خَيْرٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ كُلِّ شَرٍّ يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وَيُؤْثِرُونَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَجِبَاتِهَا، وَيُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِمُسْتَحِقِّهَا، وَيُلَازِمُونَ طَاعَةَ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ سِيرَحَمَّهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو عِزَّةٍ، فَمَنْ أَطَاعَهُ أَعَزَّهُ، وَمَنْ عَصَاهُ وَكَفَرَ بِهِ فَإِنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْهُ مَانِعٌ، فَهُوَ قَوِيٌّ قَاهِرٌ؛ حَكِيمٌ فِي انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ، وَفِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ، فَيَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ بِهِ.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورٍ هَا أَنهَارُ الْجَنَّةِ، مَآكِنٌ فِيهَا أَبَدًا، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يُسْكِنَهُمْ مَنَازِلَ حَسَنَةً، مَبْنِيَّةً فِي جَنَّاتٍ إِقَامَةٌ دَائِمَةٌ، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا، وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، ذَلِكَ هُوَ النَّجَاةُ الْعَظِيمَةُ، وَالظَّفَرُ الْكَبِيرُ الَّذِي لَا أَكْبَرَ وَلَا أَعْظَمَ مِنْهُ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ الْمُحَارِبِينَ بِالسِّلَاحِ، وَجَاهِذْ غَيْرَ الْمُحَارِبِينَ مِنْهُمْ بِالْحُجَّةِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِالسِّلَاحِ إِنْ أَظْهَرُوا نِفَاقَهُمْ، وَبِالْحُجَّةِ لِرَدِّ شُبُهَاتِهِمْ، وَبِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى مَنْ يَقَعُ فِيهَا مِنْهُمْ، وَاشْدُدْ -يَا مُحَمَّدُ- بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَمَقَرُّ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الْآخِرَةِ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَبُيُوتُ الْمَكَانِ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ!

يَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ كَذِبًا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَقَوَّ هُوا بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَلَقَدْ نَطَقُوا بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ الَّتِي يُنْكِرُونَ قَوْلَهَا، وَأَظْهَرَ الْمُنَافِقُونَ كُفْرَهُمْ بِمَا قَالُوهُ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ أَنْ يَفْعَلُوا مِنَ الشَّرِّ وَالْفَنَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ حِينَ رَجَعَ مِنَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، مَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْوُصُولَ إِلَيْهِ؛ إِذْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، وَالْحَالُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مَا عَابُوا وَمَا أَنْكَرُوا إِلَّا مَا هُوَ جَدِيرٌ حَقًّا بِالْمَدْحِ وَالشُّكْرِ وَالنَّثَاءِ، وَهُوَ إِغْنَاءُ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بِسَبَبِ

رَسُولِهِ، وَبَرَكَهٖ رِسَالَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا
فُقَرَاءَ! فَإِنْ يَتَّبِعِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، يَكُنْ رُجُوعُهُمْ
إِلَى الْحَقِّ خَيْرًا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأُخْرَتِهِمْ، وَإِنْ يُعْرِضُوا
عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ، وَيَسْتَمِرُّوا عَلَى النِّفَاقِ؛ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا
مُؤَلِّمًا فِي الدُّنْيَا، وَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ، وَمَا لِلْمُنَافِقِينَ
فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا أُمَّ وَلِيٌّ يَتَوَلَّاهُمْ، وَلَا أُمَّ نَصِيرٍ يَنْصُرُهُمْ
وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الشَّرَّ.

وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا بِقَوْلِهِ: وَاللَّهِ لَئِنْ رَزَقْنَا اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ، لَنُخْرِجَنَّكَ الصَّدَقَةَ مِمَّا أَعْطَانَا، وَلَنَكُونَنَّ مِنْ جَمَلَةِ
الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ عِبَادِهِ.

فَلَمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِمَا آتَاهُمْ، فَلَمْ
يُنْفِقُوا مِنْهُ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَصَدَّقُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ، كَمَا حَلَفُوا،
وَأَدْبَرُوا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ، مُعْرِضِينَ
وَمُنْصَرِفِينَ عَنْ ذَلِكَ.

فَجَعَلَ اللَّهُ عَاقِبَةَ أَمْرِهُمْ نِفَاقًا كَانُوا فِي قُلُوبِهِمْ، مَتَمَكِّنًا مِنْهَا،
مُسْتَمِرًّا فِيهَا إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى بِمَوْتِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ
الدُّنْيَا، بِسَبَبِ إِخْلَافِهِمْ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّدَقَةِ
وَالصَّلَاحِ، وَلَآتَهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي كَلَامِهِمْ وَعَهْدِهِمْ.

أَلَمْ يَعْلَمْ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ،
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُخْفَوْنَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَيَعْلَمُ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ
فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الطَّعْنِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى
أَعْمَالِهِمْ، وَيَعْلَمُ جَمِيعَ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ؟!
الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَعْيِبُونَ الْمُتَطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَغْنِيَاءِ
فِي صَدَقَاتِهِمُ الْكَبِيرَةِ، فَيَزَعُمُونَ أَنَّهُمْ يُرَاوُونَ بِهِ، وَيَعْيِبُونَ

أَيْضًا الْمَتَطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْفُقَرَاءِ، الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
يَتَصَدَّقُونَ بِهِ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا بِقَدَرِ طَاقَتِهِمْ، فَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ! سَخِرَ
اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، فِي مُقَابِلِ سُخْرِيَّتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَلِلْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ مُؤْلَمٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

سَوَاءٌ طَلَبْتَ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْمَغْفِرَةَ، أَوْ لَمْ
تَطْلُبْهَا لَهُمْ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنْ تَسَأَلَ اللَّهُ الْمَغْفِرَةَ لَذُنُوبِ هَؤُلَاءِ
الْمُنَافِقِينَ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يُوفِّقُ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ
عَنْ طَاعَتِهِ، الْمُؤَثِّرِينَ لِلْكَفْرِ بِهِ، الْمَصْرِينَ عَلَى فِسْقِهِمْ.

فَرَحَ الْمُنَافِقُونَ -الَّذِينَ تَرَكَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يُؤَفِّقْهُمْ لِلْجِهَادِ-
بِقُعُودِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى تَبُوكَ؛ مُخَالَفَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِهِ،
وَكُرْهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا الْكَفَّارَ بِبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ، وَغَزَوْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ
لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
لَا تَخْرُجُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَبُوكَ؛ لَغَزْوِ الرُّومِ فِي وَقْتِ شِدَّةِ
الْحَرِّ، قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لَهُمْ: نَارُ جَهَنَّمَ الَّتِي يُدْخِلُهَا فِي الْآخِرَةِ مَنْ
خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ، وَعَصَى رَسُولَهُ- أَشَدُّ حَرَارَةً مِنْ حَرِّ الدُّنْيَا الَّذِي
لَا تَرِيدُونَ التَّنْفَرَّ فِيهِ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَفْهَمُونَ عَنْ اللَّهِ
تَعَالَى، وَيَعْقِلُونَ كَلَامَهُ، لَنَفَرُوا مَعَ الرَّسُولِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي
الْحَرِّ؛ لِيَنْتَفُوا بِهِ حَرَّ جَهَنَّمَ.

فَلْيَضْحَكِ الْمُنَافِقُونَ قَلِيلًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ، وَلْيَبْكُوا فِي
الْآخِرَةِ الْأَبَدِيَّةِ كَثِيرًا، فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ جَزَاءً مِنَ اللَّهِ لَهُمْ بِسَبَبِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَالْمَعَاصِي.

فَإِنْ أَرْجَعَكَ اللَّهُ وَرَدَّكَ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، إِلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ -الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ فِي الْمَدِينَةِ بَغِيرِ

عُذْرٍ، وَفَرَحُوا بِذَلِكَ- فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلخُرُوجِ مَعَكَ لِلجِهَادِ فِي غَزْوَةِ أُخْرَى، فَقُلْ عُقُوبَةٌ لَهُمْ: لَنْ تَصْحَبُونِي أَبَدًا فِي أَيِّ سَفَرٍ؛ لِلجِهَادِ، وَلَا لِغَيْرِهِ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا مِنَ الْأَعْدَاءِ أَبَدًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ -أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ- بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، حِينَ دُعِيتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِلخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ إِلَى تَبُوكَ، فَاقْعُدُوا مَعَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ، مِنَ الْأَشْرَارِ الْفَاسِدِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِغَيْرِ عُذْرٍ، وَمِنَ الْمَعْذُورِينَ مِنَ الْمَرْضَى وَالضُّعَفَاءِ، وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

وَلَا تُصَلِّ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا مَاتَ، أَبَدًا، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِ أَحَدٍ مِنْهُمْ لِتَوَلَّى دَفْنِهِ، وَالِاسْتِغْفَارَ وَالدُّعَاءَ لَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتُوا وَهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ.

وَلَا تَسْتَحْسِنَ -يَا مُحَمَّدُ- أَمْوَالَ الْمُنَافِقِينَ وَأَوْلَادَهُمْ، مِمَّا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ؛ اسْتَدْرَاجًا لَهُمْ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، بِالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ فِيهَا، وَبِمَا يَعْتَرِيهِمْ مِنْ مَصَائِبٍ وَتَعَبٍ فِي جَمْعِهَا، وَوَجَلٍ فِي حِفْظِهَا، وَخَوْفٍ مِنْ زَوَالِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ.

وَإِذَا أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدُ- سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فِيهَا أَمْرُ النَّاسِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَجِهَادِ الْكُفَّارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ؛ اسْتَأْذِنَكَ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ أَصْحَابُ الْغِنَى وَالْأَمْوَالِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ! وَقَالُوا لَكَ: اتْرُكْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ فِي بُيُوتِهِمْ؛ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى وَالْعَاجِزِينَ عَنِ الْجِهَادِ.